دراسة تطبيقية في مادة مقاربات نقدية معاصرة

التطبيق الأول: النقد الشكلاني

إعداد الأستاذ: الوافي سامي
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات
جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي–

تحفيز الأنماط التشكيلية للشخصية الحكائية

دراسة تطبيقية شكلانية في روايتي راس المحنة والرماد الذي غسل الماء للروائي عز الدين جلاوجي

يُعنى بتحفيز الأنماط التشكيلية للشخصية تلك الأنماط التي تساهم بشكل كبير في تشكيل مُقوِّمات النص الروائي بداية من المرسل مرورا بالفاعل والموضوع والمساعد ووصولا عند المرسل إليه، إذ تُعدُّ هذه المقوِّمات بالنسبة للشخصية الروائية بمثابة الحوافز التي يقوم عليها تشكيل النص الروائي من حيث الأفعال والأحداث التي تقوم بها هذه الشخصيات، وستُعنى دراستنا هنا بالمرسل والفاعل والموضوع والمساعد والمرسل إليه، محاولين تطبيق بعضا من هذه الحوافز المرتبطة بالشخصية على روايتي راس المحنة والرماد الذي غسل الماء.

1–المرسل:

يُشكل المرسل في الدراسات الشكلانية ركيزة أساسية في السياق الحكائي من خلال الرسالة التي يقوم بتوصيلها، فهو إذن مرسل محوري مرتبط أساسا بالشخصيات الأساسية في الرواية، كما نجد كذلك المرسل الفرعي ويتمثل هذا المرسل في بعض الشخصيات الفرعية التي تكون على وفاق تام مع المرسل المركزي والتي تعمل على توصيل رسائل داعمة لرسالته أو العكس.

1–1–المرسل المركزي:

في رواية راس المحنة نجد هذا النمط من المرسل ممثل أساسا في الراوي بصفة عامة الذي يستخدم بدوره عدة شخصيات أساسية في تمرير فكرته ومنهم (صالح الرصاصة)، كونه شخصية إشكالية ظلَّت من أول الرواية إلى آخرها ملازمة للأحداث والتصورات في السياق الروائي، لأنها

تحمِلُ بين طياتها رسالة نبيلة تريد توصيلها من أجل التغيير نحو الأفضل، ومن أجل غد أفضل يقول متحديا " إذا نَطَقتُ ماذا سأخسر؟ يطردونني من العمل...منصبي يضعونه قلادة في رقابهم "[1]، ليكشف واقع الزيف عن طريق تصادم المفاهيم والغايات للكشف عن التناقضات وينشب الصراع بينه وبين معارضيه كمدير المشفى ورئيس البلدية (أمحمد أملمد) ويبقى متمسكا بموقفه ورسالته إلى آخر الرواية.

ونجد كذلك شخصية كل من (ذياب) و(الجازية) و(منير) المثقفة والتي تسعى جاهدة إلى التغيير نحو الأفضل رغم التهميش المسلط عليهم، فـ(ذياب) اختار مهنة الصحافة حتى يستطيع قدر الإمكان مساعدة الناس وكشف الحقائق وتعريتها، فرسالته واضحة رغم ما يتعرض له من تهديدات بالتصفية والقتل، تقول (الجازية) واصفة حاله عند زيارتها لها في العاصمة "... منذ تعرض (ذياب) لعملية اغتيال وهو يعيش مختبئا ولم استطع حتى أن أقابله والعاصمة صبية مصلوبة على جدار الرهبة"[2]، ليعيش بسببها حياة الخوف والحذر ورغم ذلك لم يغير مبادئه بل زاده الترهيب والتهديد إصرارا في كشف الحقائق، يقول (صالح الرصاصة) مزهوا "وأعادتني (الجازية) إلى الواقع وهي تفتح أمامي جريدة الشروق اليومي وقد توسطها موضوع يعلوه عنوان بخط كبير ...

-(أمحمد أملمد) يتحايل على الضرائب ...

-رشاوي بالملايين ...

-شبكة مخدرات مغاربية.

وقد ذَيَّل الموضوع باسم كاتبه

م. ذياب

صِحتُ فيها فرحا:

-إنه (ذياب) ... ها هو أخيرا يضرب ضربته ... انتهى (أمحمد أملمد) إلى الأبد"[3].

لتتسم رسالة المرسل المركزي الممثل هنا في شخصية الصحفي (ذياب) بالشفافية والموضوعية في نقل وكشف الحقيقة ونبذ التدليس، وذلك لما تحمله من مسؤولية أوكلت له في كشف الحقائق وتعريتها حتى يأخذ كل حقَّه.

كما نجد شخصية (الجازية) رمز الأنوثة والصفاء تمثل مرسلا مركزيا يحمل رسالة أثقلت كاهله فهي خطيبة (ذياب) ومبادئها من مبادئه تتميز بالتمرد وعدم الخضوع وتعدُّ أمل حارة الحفرة في إنقاذهم، يقول الراوي مبرزا قيمتها "ها قد عادت (الجازية) ...

ها قد عُدت ... عُدنا ...

حين تعود الجازية كل شيء يعود ...

يعود الإشراق للقمر ...

تعود الأوراق للشجر ... "[4].

وهناك كذلك شخصية (منير) الذي يمثل صورة مهمشة للمثقف الذي لا يملك باليد حيلة للتغيير فهو كثير الاستفهام والتساؤل ظلَّ طوال الرواية متمسك بمبادئه وقيمه الراسخة فيه، غير أنه لم يتمكن من ترجمتها على أرض الواقع، فهو انعكاس لأزمة المثقف في واقع يفضل أصحاب الأرجل على أصحاب العقول، لتتكالب عليه المشاكل ويقف الكل ضدَّه، يقول ضابط الشرطة مبررا "... الأمر فوق أيدينا يا سي (منير) ... أعداؤك أكبر مني ومنك وأحمد الله أننا أوصلنا الأمور عند هذا الحد ... إن الأشجار التي تموت واقفة قد تنحني ليس خضوعا للعاصفة ولكن تحايلا عليها "[5]، لتكون ثقافته وتكوينه العلمي نقمة عليه وشهادته العلمية عبئا ثقيلا عليه عطل عليه كافة مشاريعه حتى زواجه الذي أُجِّل أكثر من مرة إلى وقت لاحق وهو ما أغضب خطيبته نورة كثيرا، حيث تقول مناجية نفسها " لم أكن موافقة تماما الموافقة على الذي كان يفعله (منير) ... كنت أتمنى أن يعتني بهموم أسرته الصغيرة فحسب ... الهموم الأكبر منه لا شأن له بها ... وإلى متى نتزوج ومتى ننجب أطفالا نعيش معهم ما تبقى من حياتنا ...؟"[6]، ولسان حال نورة هنا يقول ماذا فعل (منير) بثقافته؟ وماذا جنت عليه؟.

ومنه فوجود هذه الشخصيات الأساسية في رواية راس المحنة يمثل تحفيزا جوهريا لكل الأفعال الواردة فيها.

أما فيما يخص رواية الرماد الذي غسل الماء نجد هذا النمط من الشخصيات ممثلا أساسا في الراوي كذلك الذي استخدم بدوره عدَّة شخصيات لكي يمرر رسالته التي أراد تبليغها وإسماعها ومن هذه الشخصيات نجد شخصية (عزيزة الجنرال) فهي امرأة من حديد لها نفوذ في كل مكان تتميز بالجرأة ولقوة والسلطة لمواقفها وتصرفاتها من أول الرواية لآخرها، و تشكل حضورا قويا لتحمل رسالة مفادها حب التطلع إلى السلطة وكيفية تحقيق المال ولو على حساب الآخرين بإدِّعائها فعل الخير، حيث تقول "أنا خيِّرة كل الناس يعرفون عليَّ ذلك وأنا مستعدة أن أنفق كل مالي من أجل الخير"[7]، لأن ممارستها للخير ما هو إلاَّ غطاء وتمويه لمصالح ذاتية تنوي تحقيقها بغرض زيادة ثراءها لا غير، حيث يقول الراوي واصفا ردَّة فعل (سالم بوطويل) وهو ينتقد زوجته (عزيزة الجنرال) "وامتلأ (سالم) حنقا حتى فاض خارجا من جسده ... وهَمَّ أن يقول لها كلاما سيئا ثم لزم الصمت ... ما فائدة أن يوجه كلاما سيئا لمخلوق سيء رديء لا ذوق ولا أحاسيس"[8]، وبشهادة حتى خادمها الذي يشتغل في مزرعتها والذي يقرُّ بخبث (عزيزة الجنرال) وتآمرها مفندا بذلك رسالتها السامية التي تريد توصيلها للناس، حيث يقول الراوي "... لم يتحرك سليمان من مكانه بل بقي جامدا كتمثال بارد وراحت عيناه تتابعان رجال الشرطة في كل حركاتهم وسكناتهم، بينما راح ذهنه يرتاد شكوكا أخرى ويستقرَّ فرحا على (عزيزة) التي ظل يتمنى لها كل شر وهي التي تفننت كالحية في لعق عرقه ودمه

وشبابه"[9]، ولتصبح بشهادة الجميع على عكس ما تصرح به للناس كونها تدعي أنها صاحبة منفعة وخير والحقيقة تثبت عكس ذلك تماما.

1-2-المرسل الفرعي:

يحقق هذا النوع تكاملا للمرسل المركزي من خلال سعيه في أداء رسالته التي يريد تبليغها أو العكس كأن تكون مضادة للمرسل المركزي لتعمل على توصيل رسالة مخالفة له وفي رواية راس المحنة نجد هذا النوع ممثلا في العديد من الشخصيات منها شخصية (الربيع) و(السعيد)، (منير)، (عبلة الحلوة)، (إبراهيم جحا)، (نانَّا علجية)، (الأم عرجونة) (عبد الرحيم) (أم منير)، (العجوز عكَّة)، (عزَيّز)، (أمحمد أملمد)، (مدير المشفى)، ومن هذه الشخصيات ما تتوافق رسالته مع رسالة المرسل المركزي الممثل هنا في (صالح الرصاصة) وابنته (الجازية) وخطيبها (ذياب) و(منير) المثقف المهمش، ومنها ما تخالف رسالتهم كونه توجد لكل شخصية من هاته الشخصيات سواء منها الفرعية أو المركزية رسالة تريد توصيلها، رغم "وجود تعارض بين الذات والواقع بين الماضي والحاضر"[10]، وتحفيز المرسل بنوعيه المركزي والفرعي يُعدُّ تحفيزا للرسالة أو الموضوع المراد توصيله.

والمرسل الفرعي الذي يتوافق مع رسالة المرسل المركزي في رواية راس المحنة نجده يتمثل في العديد من الشخصيات منها شخصية (الربيع) و(السعيد) اللذين يمثلان بالنسبة لـ(صالح الرصاصة) الماضي النقي لأنهما صديقاه منذ الشباب وأخواه في الميدان أيام الثورة ورسالته من رسالتهما حيث يقول "زارني أخويَّ في الثورة ... لا أحد يمكنه أن يتصور كم فرحت ... فتحت لهما قلبي ..."[11]، وهذا المشهد ينم عن محبة (صالح) لصديقيه ورغبة صديقيه الخير له إذن فرسالتهما هنا تتوافق تماما مع رسالة (صالح الرصاصة) المرسل المركزي.

كذلك نجد شخصيات أخرى تعد الركيزة الأولى للمرسل المركزي، ومن هذه الشخصيات نجد شخصية (عرجونة بنت اعمر) زوجة (صالح الرصاصة) والنسخة طبق الأصل عن أمه، فهي التي وقفت معه في السراء والضراء وصبرت لأجله، يقول (صالح) مبينا قيمتها بالنسبة إليه "جاءتني أم الأولاد بنت اعمر ... لم تبق إلاَّ هي تزيل عني الهم ... جلست قربي ... سكتت مليا ... تمنيت أن تسكت أبدا ..."[12]، كيف لا وهي التي اختارها له والده (سالم العلواني) وأمره بالرجوع إليها وقت الشِّدة، حيث يقول لها مُخاطبا "... أنت تعرفي أنني احبك ... أنت التي عشت معي العمر حُلوه ومُرِّه ..."[13]، لتكون بذلك زوجته عرجونة بنت اعمر سنده الذي يرتكز عليه والصدر الرءوم الذي يعود إليه لأن فكره من فكره ورأيه من رأيها.

ونجد كذلك تأثُّر المرسل المركزي (صالح الرصاصة) بـ شخصية (نانَّا علجية) تأثرا كبيرا وحنينه لها ولأيامها الحلوة لمَا لها من وزن ثقيل عنده، حيث يقول وكله حاجة إليها "آه (أُمَّا علجية) ...
أين أنت الآن ...؟ أين يمكنني أن ألقاك ...؟ كيف أغرس رأسي في صدرك الدفيء لتمسحي عليه بيديك الحانيتين ...؟"[14]، فهي عنده تعدُّ بذرة صالحة أنتجت جيلا صالحا لصدقها وطيبتها يقول وكله شوق وحنين لها "ما أحلاها كلمة لم أسمعها صادقة إلاَّ من فم (نانَّا علجية) ...
نانَّا التي تربطني بها وشائج الإخلاص والوفاء"[15].

وبالنسبة للمرسل الفرعي هنا كشخصية (عرجونة بنت اعمر) و شخصية (نانَّا علجيّة) نلاحظ أن لهما التأثير الأكبر في حياة وتصرفات المرسل المركزي هنا (صالح الرصاصة) لرجوعه الدائم لهما وقت الضيق والشدَّة.

كذلك نجد تشكيلة أخرى منوعة من الشخصيات الفرعية التي تعمل جاهدة على مساعدة المرسل المركزي في توصيل رسالته في رواية راس المحنة كـ(الجازية)، (منير)، (ذياب) ...

كما توجد عدة شخصيات لا تتوافق رسالة المرسل المركزي مع رسائلهم، ومن هذه الشخصيات نجد شخصية مدير المشفى الذي سعى جاهدا في تقويض رسالة (صالح الرصاصة) ومنع وصولها إلى أي جهة كانت لأنها على طرفي نقيض، يقول (صالح الرصاصة) واصفا مشهد كره مدير المشفى له "استدعاني المدير ... دخلت ... قعدت ... زمجر في وجهي:

- من سمح لك بالقعود؟ قف ...
- هزتني الدهشة ... ما هذه العداوة ضدي ...؟ "[16].

كذلك نجد وقوف رئيس البلدية (أمحمد أملمد) ضده محاولا قدر الإمكان إذلاله والانتقام منه لأسباب شخصية، حيث يقول متوعدا (صالح الرصاصة) "وجدت نفسي أسوق السيارة باتجاه ضاحية المدينة حيث يسكن الشيخ (صالح) عندي معه حساب طويل تجب تصفيته ... لن أنسى أبدا ما فعله بوالدي أثناء الثورة"[17]، ليقف بذلك معارضا لرسالة المرسل المركزي محاولا إفشالها.

وهناك شخصية العجوز عكّة التي تمثل قمة الجشع وتميل دائما لمن يدفع أكثر، تمتهن السحر وتقف إلى جانب (أمحمد أملمد) وتعتمد على الشعوذة في تسيير أعمالها، حيث يقول (أمحمد أملمد) عنها "... خرجت العجوز عكّة وتدحرجت في تثاقل ... فتحت النافذة ... مدَّت يدها تصافحني ... دسست في يدها مبلغ مئة دينار ...
–أين وصلت ...
–كل شيء جاهز ... لقد أحضرت الكلب منذ أيام ... أنا أنتظر عودتها من العاصمة اطمئن سأجعل منها كلبتك الأمينة.
–إن فعلت سأكسوك ذهبا ... سأجعل منك أسطورة أيتها الساحرة الشمطاء"[18].

ونجد كذلك شخصة (عزيّز) ربيب العجوز (عكّة)، شخصية طيبة إلاَّ أن الظروف القاهرة رمت بها في مستنقع القذارة ليسخِّره (أمحمد أملمد) لخدمة أغراضه الخبيثة واعدا إياه بالمال حيث يقول لـ(منير) مُعترفا "هذا الدكان هو لـ(لحاج أمحمد) ... وما أنا إلاَّ أحد خدمه، وهو لم يقمه ها هنا إلاَّ لاصطياد من يشاء من الغيد الكواعب ... وكان اللعين قد وعدني أن يتنازل لي عن المحل إن أنا اصطدت له الحلوة ... وفعلا نفذت له بغباء ما يريد، ثم لم أحصل على شيء .."[19] فهو إذن شخصية فرعية طوَّعها (أمحمد أملمد) لجانبه وخدمة لرسالته التي مفادها إذلال سكان حارة الحفرة وعلى رأسهم (صالح الرصاصة) والوقوف ضد رسالته.

أما في رواية الرماد الذي غسل الماء نجد هذا النوع من المرسل ممثلا في العديد من الشخصيات منها الشخصيات التي تعمل على توصيل رسالة المرسل المركزي ومنها الشخصيات التي تعمل على مخالفتها، ومنها شخصية (كريم السامعي) وأبوه (خليفة السامعي) وأخته (بدرة) كذلك نجد ضابط الشرطة (سعدون) و(فواز بوطويل) ووالده (سالم) و(نورة) زوجة (كريم السامعي) و(سليمان) الخادم في مزرعة (عزيزة الجنرال) و(مختار الدابة) رئيس البلدية و(الجنرال) و(العطرة المرنيني) و(كوثر المرنيني) و(فاتح اليحياوي) و(الطبيب فيصل) و(نصير الجان) نائب المير ...

والمرسل الفرعي الذي يتوافق مع رسالة المرسل المركزي الراوي الممثل هنا في شخصية (عزيزة الجنرال) نجده يتمثل في العديد من الشخصيات منها شخصية الطبيب (فيصل) الذي يعمل في مشفى المدينة، حيث له علاقات وطيدة مع عائلة (عزيزة الجنرال) لتتخذه هذه الأخيرة كأداة سُخِّرت لخدمة مصالحها ومصالح العائلة، يقول الراوي واصفا موقف الطبيب إزاء (عزيزة) "... ولاحظ (فيصل الطبيب) ما في عينيها من سحر واهتمام صعب التخلص منه ... وأدركت (عزيزة) ذلك فراحت تُربّتُ على كتفي (فيصل) وهي تقول بنبرة متكسرة فيها من حرقة الغيرة:

–أرجو أن تزورنا قريبا وسنسعد بالجلوس معك ... اهتم بـ(فواز) ..."[20]، وحافز التعاون هنا يتمثل في التزوير، لقيام الطبيب (فيصل) بفبركة شهادة طبية تثبت مُكوث (فواز) ليلة الحادثة في المشفى ابتداء من الساعة الرابع والحقيقة أنه خرج من الملهى على الساعة التاسعة ليلا ليُكشف أمره في الأخير ويُزجُّ به في السجن بتهمة التزوير واستعمال المزوّر، يقول له الضابط (سعدون) معاتبا " وحين لمح الاضطراب على ملامح الطبيب وفي حركة يديه قال:

–الطب مهنة إنسانية نبيلة راقية لا تَعدِلهُا إلاَّ مهنة التعليم ...

لقد سلمت لـ(فواز بوطويل) شهادة تثبت أنه دخل المصحة ابتداء من الرابعة وأكَّدت ذلك في كل سجلات المصحة، وثبت لدينا أن (فواز بوطويل) قضى مساء ذلك اليوم في ملهى الحمراء ..."[21].

وهنا نلاحظ وقوف الطبيب (فيصل) مع رسالة المرسل المركزي (عزيزة الجنرال) ومساعدتها إلى النهاية مقتنعا بفكرها ومواقفها.

كما نجد شخصية (الجنرال) مالك ملهى الحمراء، يملك السلطة والمال وله نفوذ غير محدود وهو دائما في خدمة (عزيزة الجنرال) ومصالحها، يقول الراوي مبينا سلطته " دام عُرس (الجنرال) الذي أقامه لابنه بالتبني أسابيع صارت فيه عين الرماد قبلة للشخصيات من السياسيين وذوي النفوذ ..."[22]، فهذا المشهد يدل على قوته ونفوذه السلطوي والمادي والتي سخرها لخدمته وخدمة (عزيزة الجنرال) ورسالتها، للجوئها إليه كل مرة تقع فيه في مشكل، يقول الراوي " وفي المساء تغير كل شيء لقد أطلق سراح (فواز) معزَّزا مكرما ... وأدرك (سعدون) أن يد (عزيزة) أطول مما توقع وأن القانون فعلا تحت بعض الناس، قيل إن (عزيزة) قد ذهبت إلى (الجنرال) طلبا للمساعدة ..."[23].

إضافة لشخصيتي (كوثر) و(العطرة المرنيني) اللتان عملتا جاهدتين على كسب رضى المرسل المركزي (عزيزة الجنرال) بكل ما أوتينا من حيلة، فنجد محاولة تقرب العمة (كوثر المرنيني) من (عزيزة الجنرال) حتى تحظى منها ببعض الاهتمام والمساعدة لأن غرضها هنا مادي لا غير، تقول العمة (كوثر) مقترحة المساعدة على (العطرة المرنيني) "يجب أن تتَّصلي به شخصيا ... هذا رقم هاتفه تحصلت عليه بطريقتي الخاصة ... وأنا سأتحرك باتجاه أمه لأنني علمت أنها مفتاح الأمر كله"[24]، ورغم تعاونهما مع شخصية (عزيزة) إلاّ أن نتيجة تعاونهما هذا كان الفشل، يقول (سمير المرنيني) مُعيبا عليهما مساندة (عزيزة الجنرال) "(عزيزة) شخصية كبيرة ما بقيت تنظر لأمثالك ... أنتن مجرد وسائل لا غير ... "[25].

أما في ما يخص الشخصيات الفرعية التي تعمل جاهدة على إعاقة رسالة المرسل المركزي (عزيزة الجنرال) فكثيرة هنا ونجد منها:

شخصية (سالم بوطويل) زوجها والذي يعمل جاهدا على رفض رسالتها بسبب تعارض مقاصدهم وغاياتهم، فهو شخصية طيبة في حين هي شخصية خبيثة، يقول الراوي مبرزا موقفه منها "... أراد أن يلعنها بملء قيه ... أراد أن ينشب أصابعه في أوداجها حتى تموت كما تموت الدجاجة ..."[26]، إذن فرسالة المرسل الفرعي الممثل هنا في شخصية (سالم العلواني) تتعارض كلية مع رسالة الشخصية المركزية (عزيزة الجنرال).

إضافة إلى شخصيات أخرى جاءت رسائلها مخالفة تماما لما جاءت به (عزيزة الجنرال) ومنها شخصية (فاتح اليحياوي) المثقف الثائر ضدها وشخصية ضابط الشرطة (سعدون) وشخصية (سليمان) العامل لديها في مزرعتها ...

2-الفاعل:

يُعدُّ الفاعل نمطا آخر من تحفيز الأنماط التشكيلية في النص الروائي، ويتمثل الفاعل في رواية راس المحنة في شخصية (صالح الرصاصة) البطل، حيث تتغير فعاليته من موقف لآخر ففي أول الرواية عندما كان لا يزال يقيم في قريته كان يملك الفعل ويستطيع الرفض أو القبول ونستطيع أن نطلق على هذه المرحلة مرحلة الفعل الإرادي وهي مرحلة كان باستطاعة (صالح الرصاصة) فيها أن يرفض انتقاله إلى المدينة، بعد أن أُقترح الموضوع عليه من طرف صديقيه (الربيع) و(السعيد)، ولكنه تحت وقع إغراء صديقيه له ومشاورة زوجته قرَّر الانتقال إلى المدينة يقول "كانا يُقلِّبان فيَّ بصريهما وفيهما إلحاح بقبول الفكرة ... ورغم كوني كنت أخاف المدينة ... كنت أدرك أنهما ما أرادا لي إلاَّ الخير ... وأردت أن أقول لا للمدينة ... فقلت نعم ... قلتها خافتة باهتة"[27]، وبدخوله المدينة وبالضبط بيته الجديد دخل (صالح الرصاصة) مرحلة أخرى غير التي يحيا فيها في القرية، مرحلة الخوف والتي ستتحول به فيما بعد إلى مرحلة الفعل اللاإرادي حيث يقول واصفا حاله "لم أعلق ... كنت أُجيل الطرف في كل أركانه ... في كل شبر فيه ... وكانت فرائصي ترتجف ... كأن جدرانه ملأى بالعيون المفترسة ... لم أفرح ... نعم لم أفرح ... أحسسته قبرا ... مجرد قبر بارد لا غير"[28]، ليظل في معظم أحداث الرواية فاقدا لراحته وهدوءه بسبب رحيله من القرية إلى المدينة تلبية لرغبة صديقيه (الربيع) و(السعيد) وزوجته (عرجونة بنت اعمر) و "موقف البطل سيكون موقف السلبية والانهيار واليأس والسخط على الواقع وعلى السلطة"[29]، ولا يملك الفاعل هنا في هذه المرحلة غير الرغبة في الخروج من هذا المكان ففقد سيطر عليه الاستسلام والانهزامية في معظم الأحداث التي مرت عليه داخل المدينة حيث يقول "أتركاني أرجوكما ... إذا كنتما تحباننني فاتركاني لحالي ... أنا خوَّاف ... أخاف المدينة ... المدينة عاهرة فاجرة ستفسدني ... تبدلني ... تغيرني ... تبلعني ... المدينة يا ناس قذرة وسخة ستوسخني ... خذوا كل شيء ... المال ... الجاه ... السلطان ... الفيلات ودعوني لحالي ... دعوني لحالي"[30]، ليقرر الهرب من المدينة مُرغما لا حل آخر لديه وهذه المرحلة تسمى مرحلة الفعل الجزئي كون الفاعل هنا لا يملك فيها غير الخروج من المدينة وفي أسرع وقت، يقول "جريت ... جريت ... كأنني في ريعان الشباب ... أحسست أنني خرجت من المدينة ... خرجت من السجن ... من زنزانة سلطان طاغية"[31]، فخروجه من حصار هذا المكان الممثل في المدينة معناه حصوله على الفعل الإرادي لعجزه الكبير عن الفعل في واقع يحيط به الحصار من كل صوب.

ويتمثل تحفيز الفاعل في رواية الرماد الذي غسل الماء في شخصية (عزيزة الجنرال)، حيث بدأت كشخصية ذات فعالية في الواقع الاجتماعي لسلطتها ومالها أَخضعتِ الجميع لها كونها شخصية محورية وذات وزن، يقول الراوي عنها "إذا أردت قضاء مآربك فعليك بـ(عزيزة الجنرال) ... هكذا يردد الجميع ... كلما ضقت الدنيا بأحدهم هرع إليها وهي تعرف الجميع، تمُدُّ خيوطها السحرية فإذا

بالحقّ باطل والباطل حق، وقد سمَّاها الناس الجنرال لقُوَّتها"[32]، غير أن سلطتها هذه سُخِّرت لخدمة أغراضها وأغراض أمثالها لا غير، فهي إذن شخصية محورية انتهازية لا شيء يقف في وجهها والآخر يعتبر عندها مجرد تابع لها، يقول (سمير) مبينا انتهازيتها "(عزيزة) شخصية كبيرة ما بقيت تنظر لأمثالك ... أنتن مجرد وسائل لا غير ..."[33] ورغم فعاليتها في الحدث تبقى دائما نموذجا سلبيا في حياة سكان مدينة عين الرماد، لبقائها وحدها المتابعة لتغير الأحداث في الرواية من أولها لآخرها بداية بمقتل (عزُّوز) مرورا بوفاة (سليمة المرنيني) أم (سمير) وصولا عند سجن (كريم السامعي) بتهمة ارتكابه جريمة قتل (عزُّوز) وانفصال (بدرة) عن (فواز) بعد تطليقها بأمر منها لتظلّ رغم هذا التغير في الأحداث محافظة على سلوكها وقراراتها السلبية التي تخدمها هي وحدها دون غيرها إلى آخر الرواية، ليُكشف ملعوبها وتفرَّ نحو المجهول.

3-الموضوع (الرسالة):

من خلال تحليلنا السابق لروايتي راس المحنة والرماد الذي غسل الماء وصلنا إلى نتيجة مفادها وجود رسالتين سيطرتا على الحكي فيهما:

الأولى تخص رواية راس المحنة وتتمثل في رسالة المرسل المركزي (الراوي) والذي أوكل المهمة هنا لعدة شخصيات منها شخصية (صالح الرصاصة) وابنته (الجازية) وجاره (منير) المثقف و(ذياب) الصحفي، فكل هاته الشخصيات تحمل بين طياتها رسالة وتشارك شخصية البطل (صالح الرصاصة) في رسالته التي نادى بها، والممثلة في محاولة الانعتاق من الحصار والقهر والضياع الذي يحيط به وعائلته وكامل سكان حارة الحفرة في الواقع المعاش، فقد ظلّ طوال أحداث الرواية يتطلع للخروج من المدينة والتي تمثل عنده مصدر حصار وضغط بعد فشل محاولاته في التغيير لتلقيه الصَدَّ من مدير المشفى والإعاقة من طرف رئيس البلدية (أمحمد أملمد)، لأنهما يمثلان السلطة الإدارية والسياسية القهرية النافذة، لتبقى رغبة الجميع في الخروج والثورة مجرد فكرة.

ونستطيع القول بأن الرسالة الجوهرية التي أراد المرسل المركزي توصيلها عن طريق شخصيات الرواية الرئيسية كشخصية (صالح الرصاصة) وابنته (الجازية) وخطيبها (ذياب) و(منير) المثقف والفرعية كشخصية أُمَّا (عرجونة) و(نَانَّا علجية) و(الربيع) و(السعيد) و(الضابط كريم) ... محاولة لإبراز قيم الحق ولحرية التي ضاعت في واقع لا يملك الإنسان فيه حق النطق والتكلم أو الخروج من حصار دخل فيه رغما عنه، الرسالة الجوهرية هنا تمثلت في محاولة تخليص الإنسانية المعذبة من حصارها ومآسيها، لتظل مجرد أفكار وأحلام تراود (صالح الرصاصة) بعد عجزه في تحقيقها، ليختار بذلك حله الأخير وهو الهروب كونه يمثل أضعف الإيمان، حيث يقول مستسلما "والحل؟ الهروب الهروب ... كل شيء يصرخ في أذني ... أهرب يا (صالح) ... يا (صالح) المغبون ... يا (صالح) المجنون ... أهرب بنفسك ... أنت ضعيف ... هؤلاء شياطين أنت لا تقدر على مواجهة هذا

الجنس ... يا (صالح) أهرب ... أهرب يا (صالح) ... هؤلاء فَسَّدُوا وأفسدوا وفَسَدَت عليهم ... أهرب يا (صالح) ... أهرب ..."[34]، لتكتمل رسالته من بعده عن طريق إعلاء كلمة الحق وقهر الباطل بواسطة شخصيتي (الجازية) و(ذياب) متحدِّين بذلك كل شيء ساعيين فقط نحو التغيير وإزالة الجمود ومسبباته، لينتفض (ذياب) الصحفي بقلمه ويكشف الحق وتنتفض (الجازية) بالفعل في وجه الظلم محاولة قتل (أمحمد أملمد) السلطوي القهري، يقول الراوي واصفا الموقف "يـ(الجازية) ...

بلغ القلب العفن ...

انتفضي ...

حشاشة الروح ترتعش ...

سويداء القلب تختنق ...

اقتليه ...

اشحذي الخنجر المسموم واقتليه ...

قَتَلَكِ ألف مرة ...

باع ظفائرك لصعاليك الأرض ...

أُقتليه ... و ... "[35].

كل هذا سبَّبَ فقدان الذات لذاتها وأحلامها النبيلة ليُشكل بذلك الحُلم المفقود لدى معظم شخصيات الرواية رسالة جوهرية تدور حولها معظم الأحداث.

الثانية تخص رواية الرماد الذي غسل الماء، وتتمثل في رسالة المرسل المركزي (الراوي) الذي يتحكم في الشخصيات الرئيسية والثانوية ليقودها إلى الوجهة التي يختارها، لنرى بذلك الأحداث من خلاله وعبر شخوصه كشخصية (عزيزة الجنرال الرئيسية) والتي تتميز بالهيمنة والتحكُّم والسلطة، يقول الراوي عنها "فقدت (عزيزة) أمها في مأساة رهيبة ... وما كادت تبلغ الثامنة عشر حتى ورثت عن عمتها كل ما ورثت عن زوجها الثري من أراضي وأموال وتحولت فجأة من مضغة للشفقة إلى إعصار للرفض والتحدي ..."[36]، و مهمتها جعل كل سكان مدينة عين الرماد تابعين لها وخاضعين وحلمها بالسلطة التي تؤهلها لتملُّكِ الآخر، ومنه فرسالة الراوي موجهة هنا إلى السلطة وأصحابها الممثلين هنا في الجنرال و(عزيزة الجنرال) والطبيب (فيصل) ورئيس البلدية (مختار الدابة) والضابط (سعدون).

كما أن رسالته موجهة إلى المجتمع الممثل هنا في مدينة عين الرماد وسكانها على اختلاف مكاناتهم وتوجهاتهم كعائلة (خليفة السامعي) البسيطة وعائلة (عبد الله المرنيني) الفقيرة ... الذين وقفوا في وجه (عزيزة الجنرال) وغطرستها لينجحوا في الأخير بإمساكها مُتلبسة بالجرم، يقول الروي واصفا المشهد "وفاجأ جمع غفير الضابط (سعدون) / (بدرة) / (نوارة) / (سمير) و ... فاضطربت

وراحت تمسك بيدها المرتجفتين تحاول تسوية شعرها وهندامها مُبَلِّلَة ريقها بلسانها التي ظلَّت تُمرّره على شفتيها وراح المحيطون بها ينبشون القبر وراحت تدفعهم بقوة نائحة باكية مهددة الجميع بأسوأ العقاب ...

ولم تمض ساعة من زمن حتى ارتخت (عزيزة) تعبة عاجزة عن فكِّ الحبال التي عَلَّقَت رجليها ويديها، وتسلَّل أحدهم إلى القبر وأخرج الجثة فمدَّدَها على الأرض"[37]، وهذا المشهد دليل على انهيار السلطة القهرية في آخر المطاف بسبب سياسة القمع والهيمنة التي تبعتها (عزيزة الجنرال) في تسيير مصالحها على حساب الآخر المجتمع (سكان مدية عين الرماد).

4-المساعد:

في رواية راس المحنة يتضح تحفيز الشخصيات المساعدة في بعض الأفعال التي تمارسها بعض الشخصيات القريبة من الشخصيات الرئيسية والتي تحاول مساعدتها في تحقيق ما يريد كشخصيتي (الربيع) و(السعيد) صديقي الشخصية الرئيسية (صالح الرصاصة)، فهما جاءوا إليه خصِّيصا من أجل مساعدته في الخروج من القرية (الحصار) والانتقال إلى المدينة حيث يوجد الانفتاح، يقولان له وكلهم رغبة في المساعدة "يا (صالح) يا رصاصة ... مالك لا تريد أن تتبدل؟.

-قلت وأنا متعجب:

أتبدل كيف؟ ماذا تقصد؟

-قال (السعيد) وهو يضحك:

فات وقت الرصاص يا (صالح) يا خُيَّ ... اليوم نحن في عصر الأسلحة النووية والكيماوية"[38].

فمساعدة كل من (الربيع) و(السعيد) لصديقهم (صالح الرصاصة) تُعدُّ تحفيزا إيجابيا لرغبتهما ومحاولتهما الخروج به من الحصار المحيط به وبعائلته.

ونجد عائلته الممثلة في زوجته (عرجونة بنت اعمر) وابنته (الجازية)، فهما حاولتا جاهدتين مساعدة (صالح الرصاصة) منذ البداية خاصة زوجته التي تُعدُّ مرجعا بالنسبة إليه حيث يقول عنها "حين تضيق بي الدنيا وأحتاج إلى رأيها أدخل عليها في صمت ... وأجلس قربها في صمت ... هي وحدها تشم الهم ..."[39].

فتحفيز المساعدة عندها يتمثل في الوقوف بجنب زوجها وقت الشِّدة واقتراح الحُلول التي تناسبهم كاستشارته لها حين أُقترح عليه موضوع الرحيل إلى المدينة، حيث يقول "... احترما في البداية سكوتي وحينما طال قال (السعيد):

- بم أشارت بنت اعمر؟

-وضحك وهو يواصل:

حمدة خير من أحمد

وسكت

وهما يعرفان أنني أستشيرها في كل شيء ... ويعرفان قيمتها ..."[40].

كما تمثل (الجازية) أيضا شخصية مساعدة وتعمل لصالح أبيها (صالح الرصاصة) بمحاولاتها لعديدة لإخراجه من عزلته التي اختارها بعد هروبه من المدينة نحو الريف، حيث تقول "(منير) يجب أن نذهب في المساء إلى القرية، لابد أن نعرف حالة والدي ... أنا خائفة يا (منير)"[41].

كذلك نجد شخصية (منير) الذي يمثل فئة الطبقة المثقفة المقهورة، حيث سعى كثيرا لمساعدة (صالح الرصاصة) لتعاطفه وحبه له لأن رسالته تتوافق مع ما دعى إليه البطل، تقول (الجازية) لـ(منير) "لن أتركك يا (منير) تقتله، سأقتله أنا ... أنا أولى بذلك ... حين تقتله سيكون ذلك تدنيسا لك يا سيد الرجال ... هذا فرعون أَخَافَ الجميع واشترى الجميع لكن قتلته امرأة"[42] هنا يبين لنا هذا المشهد رغبة (منير)كمثقف قتل (أمحمد أملمد) المضاد بعد فشل كل الطرق القانونية في السيطرة عليه وإيقافه لنفوذه وقوته، إذن فموقف (منير) هنا مؤيد لموقف البطل (صالح الرصاصة) الذي نادى بدوره إلى التغيير لكن بعد فشله في ذلك اختار الهروب إلى القرية.

وفي رواية الرماد الذي غسل الماء يتضح تحفيز الشخصيات المساعدة في بعض الشخصيات القريبة من الشخصية الرئيسية والتي تؤيد رسالتها وتحاول تحقيقها، ومن هذه الشخصيات نجد شخصية (كوثر المرنيني) ومحاولاتها التقرب من (عزيزة الجنرال) وكسب ثقتها عن طريق مساعدتها والوقوف إلى جنبها طمعا في ولائها ورضاها، يقول الراوي "وفي طريق عودتهما أصرت (عزيزة الجنرال) على (كوثر) أن تذهب معها إلى البيت ليشربا قهوة المساء معا ... وكم تُسعد (عزيزة) بهذه الجلسات، فـ(كوثر) تُكثر من الحديث عنها وعن مواقفها وذكائها وخضوع الناس لها وخوفهم منها ..."[43].

إذن فرسالة (عزيزة) الجنرال تَهُمُّ (كوثر المرنيني)كثيرا لذا لزاما عليها تأييدها والوقوف إلى جنبها، لأنه باستمرار رسالتها تستمر مصالحها.

ونجد شخصية الطبيب (فيصل) والذي لديه علاقة مقرَّبة جدا مع عائلة (عزيزة الجنرال) يتميز بالفعالية والسلطة في الواقع الاجتماعي والتي اكتسبها عن طريق (عزيزة الجنرال) التي سخَّرته لخدمتها وخدمة مصالحها فقط لتلجأ إليه وقت الحاجة، يقول الراوي "... ولما وقف أمامها كالتلميذ الطائع طلبت منه أن يتصل بالطبيب (فيصل) وينتظراها حتى تعود ليذهب معهما من أجل معاينة (فواز) ..."[44]، هنا تكمن مساعدة الطبيب (فيصل) لـ(عزيزة الجنرال) بذهابه معها إلى بيتها من أجل معاينة ابنها (فواز) وتزوير شهادة إقامة تثبت إقامته في المشفى ليلة وقوع الحادث ليكون لها ما أرادت.

لتكون كافة هذه التحفيزات من الشخصيات الفرعية للشخصية المركزية عبارة عن مساعدات قُدِّمت لتوافق رسائلهم مع رسالتها.

5-المضاد:

يتضح تحفيز المضاد في رواية راس المحنة في عدة شخصيات كشخصية مدير المشفى و(أمحمد أملمد) والعجوز عكَّة، فهي شخصيات تبدو في ظاهرها مساعدة لشخصية البطل (صالح الرصاصة) وعائلته غير أن الحقيقة غير ذلك كونها تمثل إعاقة حقيقية له وتسعى إلى تحطيمه وإيقاعه في متاهات لا متناهية، والمتتبع لمسار الرواية يجد أن (صالح الرصاصة) منذ دخوله المدينة تبادلت عليه هذه الشخصيات المضادة الأدوار بداية بمدير المشفى الذي لاحظ التزام (صالح الرصاصة) في عمله وتفانيه، وهو ما يمثل بالنسبة إليه مصدر إزعاج وخطر عليه وعلى مصالحه خاصة مع تزامن وصول وزير الصحة للمشفى، حيث حاول إلهاءه وإبعاده عن المشفى أكبر وقت ممكن حتى يتجنب المشاكل، يقول (صالح) "ولجت المشفى يا لطيف كل شيء يلمع ... غيروا للمرضى كل شيء ... البلاط يبرق ... الرائحة الطيبة تفوح منه ... وتَحوَّل الإسطبل إلى جنة ... دخلت مكتب الأمير ...آ... المدير ... قام من مكانه مُرحبا ... عَجِبتُ ... اقترب مني ... ضمني إلى صدره ... سَلَّم عليَّ ... أفقت من دهشتي ... قلت في سِرِّي مُتمتما ... رائحة الثعلب ..."[45].

هذا المشهد فيه دلالة واضحة على أسلوب المراوغة الذي استعمله مدير المشفى مع البطل (صالح الرصاصة) بغرض تغييبه ولو مؤقتا عن المشفى وقت حضور الوزير، لكنه اكتشف مقاصده ورفض طلب المدير جملة وتفصيلا، وكان رفض (صالح الرصاصة) الانصياع لرغبات مديره القطرة التي أفاضت الكأس وألَّبتِ المدير عليه الذي فصله من عمله ومن بيته يقول مُتحسرا "وفصلوني عن العمل ... اشتكيت للمسؤولين ... كتبت للجهات الرسمية وغير الرسمية كلهم اتفقوا على أنَّني مجنون ولا أصلح للخدمة ..."[46].

فصدور قرار مدير المشفى هنا ضد البطل (صالح الرصاصة) حطَّم حياته، حيث أُصدِر هذا القرار المضاد من طرف سلطة قهرية.

ونجد كذلك شخصية (أمحمد أملمد) العدو اللدود لـ(صالح الرصاصة)، يتميز بالخبث والحقد واس النفوذ والمال سياسته قمعية وهي ما أهلته للفوز بالانتخابات ويصبح رئيس بلدية، لاقى منه سكان حارة الحفرة الويلات من مذلة واستغلال، يقول عن نفسه مزهوا "في طريقي لم أكن أرى الناس أمامي ... وما كنت أحب أن أراهم ... يُخيَّل إليَّ أنَّ أيادي تُلوِّحُ بالتحية بين حين وآخر لكني ما كنت آبه بهم ... أولاد الكلب كلما أمعنت في إذلالهم ازدادوا إليَّ خنُوعا ... جوِّع كلبك يتبعُكَ ..."[47].

كما أن حقده على (صالح الرصاصة) يعود بجذوره لزمن مضى زمن الثورة التحريرية وكما ذكرنا سالفا هما شخصيتين على طرفي نقيض (صالح الرصاصة) رجل ثوري ووطني ابن شهيد = (أمحمد أملمد) عميل وابن حركي، حيث قام الثُّوار ومن بينهم (صالح الرصاصة) بإعدام والده بتهمة العِمالة لفرنسا، ومن ذلك الوقت وهو يتوق للحظة التي يُذِلُّه فيها للانتقام منه، حيث يقول عنه "وما زال هو غُصَّة في القلب ... لا بد أن يدفع الثمن ... وكيف يدفعه؟ بإزهاق روحه أم بالموت البطيء؟"[48]، وهذا دليل واضح يبين وقوف (أمحمد أملمد) ضد (صالح الرصاصة) لأن رسالته تخالف رسالة هذا الأخير.

وتوجد كذلك شخصية العجوز عكَّة تفعل أي شيء من أجل المال، سُخِّرت من طرف (أمحمد أملمد) ضدَّ عائلة (صالح الرصاصة) حتى تُخضعهم له باستعمال دجلها وسحرها يقول الراوي "وتغيرت ملامح (الجازية) غضبا وهي تعالج بعض جراح أمها، وأدركت أنها ضاقت ذرعا بالعجوز (عكَّة) ولعلها ستسيء إليها ... وقرأت العجوز (عكَّة) ذلك على صفحات وجه (الجازية) فسكتت ... عَجَّلتُ أمسك بالعجوز (عكَّة) أحثها في رفق على مغادرة البيت وفعلا امتثلت فخرجت وهي توصي خيرا بلحمها ..."[49].

فهي إذن شخصية تبدو في ظاهرها مساعدة ومُحبة لفعل الخير، أحضرت معها صحن لحم لعائلة (صالح الرصاصة) غير أن الحقيقة المُرَّة غير ذلك، فما أحضرته هو لحم كلب مسحور الغرض منه إخضاع (الجازية) لـ(محمد أملمد) مقابل مال وعدها بها، لينكشف ملعوبها وتُطرد من البيت بهدوء، إذن هي تمثل إعاقة بالنسبة لعائلة (صالح الرصاصة) ورسالتها ضد رسالتهم.

ويتضح تحفيز المضاد في رواية الرماد الذي غسل الماء كذلك في عدة شخصيات ذاقت ذرعا من تصرفات الشخصية الرئيسية (عزيزة الجنرال) ومنهم شخصية (سالم العلواني) زوجها، فهو عبَّر عن كرهه لها ولتصرفاتها بابتعاده عنها وهجرها رغم أنهم يعيشون في بيت واحد، يقول الراوي "ضاقت الدنيا في عيني (عزيزة) منذ أبقي (فواز) في الحجز ... ورجعت إلى البيت وقد تغير لونها فزعا ورعبا ... دَلِفَت البيت وسعت تبحث عن زوجها رافعة صوتها باسمه ... بحثت عنه في غرفته التي لم تدخلها منذ سنوات"[50]، فقول الراوي بحثت عنه في غرفته التي لم تدخلها منذ سنوات دليل علاقة زوجية قناة الاتصال فيها منقطعة رغم عيشهم في بيت واحد، وسبب نفوره منها وكرهه معاملتها السلطوية والتي جعلت منه تَبعا لها لا متبوعا تسوقه حسب هواها يقول الراوي موضحا هذا المشهد "كان (فواز) يعجب حين يسمع الآية *الرجال قوَّامُونَ على النِّسَاءِ* وينتصب في ذهنه سؤال كبير إذن فلماذا تشتم أمي أبي؟ ولماذا تصيح في وجهه فلا يملك إلاَّ أن يسكت؟ و(فواز) مُذ أدرك التمييز بين الأشياء أدرك أن أمه لا تحترم أباه وأنها أقوى منه"[51].

فتصرفات (عزيزة الجنرال) السلطوية القهرية أدت بزوجها إلى كرهها والابتعاد، لتكون بذلك شخصية (سالم بوطويل) مضادة لشخصيتها.

كما نجد شخصية (فاتح اليحياوي) التي تمثل فئة الطبقة المثقفة المقهورة، شخصية وقفت في وجه (عزيزة الجنرال) كحجر عثرة أمام مشاريعها ومصالحها، كموقفه ضده تحويل مدرسة قديمة إلى مشروع يخصها، يقول الراوي "... بعدها بأشهر استولت (عزيزة الجنرال) على مدرسة قديمة وسط المدينة لتُشيد فيها دارة ضخمة ... تناقلت الشفاه رفضا جبانا ... صدَحَ (فاتح اليحياوي) بالرفض ... سارت الحشود خلفه من شارع لشارع وقفوا أمام البلدية عاصفة هوجاء تصرخ بسقوط (مختار الدابة) و(نصير الجان) و(عزيزة الجنرال) ..."[52].

هذا الموقف يدل على الرفض التام الذي نادى (فاتح اليحياوي) المثقف لدحض رسالة (عزيزة الجنرال) والوقوف ضدها بشتى الطرق.

6-المرسل إليه:

يتجسد المرسل إليه في روايتي راس المحنة والرماد الذي غسل الماء في المجتمع من ناحية والسلطة من ناحية ثانية.

ففي رواية راس المحنة يوجه المرسل المركزي طوال أحداث الرواية رسالته إلى الإنسانية المحاصرة في سجون السلطة التي تجعل معظم أفراد المجتمع يعانون من الحصار والقهر والضياع، غير أن هذه الفئة لا تملك لنفسها من الأمر شيئا، لتظلَّ محاصرة ويظل البطل (صالح الرصاصة) محاصرا معهم لا يملك شيئا من أجل التغيير تغيير واقع حارة الحفرة المُزري سوى الرفض والهرب، لأنه لاقى الاضطهاد من كل الجهات حتى الكلمة مُنِع من إخراجها ومثال ذلك تصدِّي مدير المشفى له عند محاولته قول الحقيقة وكشف المستُور لتُكَمِّمَ الأيادي المشاركة في الجُرم فمه محاولة إسكاته وإبعاده عنهم، يقول الراوي مبرزا هذا المشهد "وقام المدير كالديك فقال:

-أنت دائما مشوش لا شيء يرضيك ... والناس كلهم مُخطئون في رأيك ...

الجلسة مرفوعة وأنت لابد أن تحضر أمام المجلس التأديبي بتهم عديدة"[53].

فهذه المُعارضة الشديدة التي لاقاها من طرف مدير المشفى الذي لم يذكر بالاسم لتعميم الدلالة والذي يمثل السلطة الإدارية المتعفنة دليل على تهديد رسالة (صالح الرصاصة) والتي تمثل مبدءا له، كما نجد السلطة في هذه الرواية ممثلة في (أمحمد أملمد) رئيس البلدية و(السعيد) محافظ الشرطة، فالأول رغم انتخابه من طرف الشعب إلاَّ أنه يحمل البغض والحقد، كونه سبب من الأسباب التي أبقت حارة الحفرة حفرة لا غير، إضافة إلى طمعه في الاستحواذ عليها بعد تهجير سكانها، فهو إذن مثال للسلطة الفاسدة، حيث يقول مزهوا بنفسه ناقما على الآخرين "خرجت من الحمام كانت نفسي رائقة وجسمي خفيف والدنيا بذوق العسل ... عدَّلتُ من ربطة عنقي ... سويت نظارتي ...

أولاد الكلب سأشتريكم جميعا بمالي ... الكل تحت جبروتي ... أنتم وهذا الوطن الذي ضحَّيتم من أجله ..."[54]، إذن فمسؤوليته هنا كرئيس بلدية ليس تنمية حارة الحفرة بل الاستحواذ عليها وطرد أهلها نكاية لا غير، وإذلاله لـ(صالح الرصاصة) الذي يُكنُّ له البغض حيث يقول عنه متوعدا "ومازال هو غُصَّة في القلب ... لابد أن يدفع الثمن ... وكيف يدفعه؟ بإزهاق روحه أم بالموت البطيء؟"[55].

فهذا المشهد يُنمُّ عن تعارض بين شخصية البطل (صالح الرصاصة) وشخصية رئيس البلدية (أمحمد أملمد) الذي يُمثِّل السلطة القهرية، ليقع بينهما صراع أكثره نفسي وتكون الرسالة موجهة من المجتمع الذي يمثله (صالح الرصاصة) إلى السلطة التي يمثلها (أمحمد أملمد).

كما تتمثل السلطة هنا في شخصية (السعيد) محافظ الشرطة المتواطئة مع (أمحمد أملمد) في قضايا فساد، يقول (منير) "في المساء زارني محافظ الشرطة وبرفقته (أمحمد أملمد) ... وكان ذلك صاعقة فجَّرت أعصابي وأنهكتني تماما ..."[56]، فشخصية (السعيد) المحافظ هنا تمثل كذلك السلطة الفاسدة وهي متعارضة ومبادئ (منير) التي جُبِلَ عليها التي تمثل لهم مصدر إزعاج وخطر.

وفي رواية الرماد الذي غسل الماء نجد رسالة المرسل المركزي موجهة إلى المجتمع والسلطة معا فالمجتمع هنا ممثل في مدينة عين الرماد كشخصية (خليفة السامعي) وابنه (كريم) وابنته (بدرة) وعائلة (عبدالله المرنيني) وأبناءه (سمير) و(عزوز) و(العطرة) وأخته (كوثر) و(فاتح اليحياوي) و(عبلة الحلوة)...، أما السلطة فممثلة هنا في شخصية (عزيزة الجنرال) (مختار الدابة)، (نصير الجان)، الضابط (سعدون)، (الجنرال)، الطبيب (فيصل) ... والمنطق السائد بينها هو "منطق العصر الذي يفرض سلطته ويصبغ العلاقات بطابعها النفعي"[57].

وما يخص سكان عين الرماد فمغلوبون على أمرهم تُحرِّكهم فئة سلطوية معينة مهيمنة على مقاليد المجتمع، ومنهم (عزيزة الجنرال) شخصية سلطوية انتهازية لا همَّ لها إلاَّ مصالحها الخاصة ولو على حساب الآخرين، تُظهر للمجتمع أنها تفعل الخير ومُحبة له لكن باطنها كله مكر وخبث رغم أنها من الكبار الذين يقرِّرون في المدينة، يقول الراوي "أول من أوحى لـ(مختار الدابة) بالترشح هو الخبطة وضمن له رضى الكبار عليه ... وما هي إلاَّ أيام حتى كان (مختار الدابة) يجتمع مع (الجنرال) ثم مع (عزيزة الجنرال) ليَلقَى لديها القَبول التام ..."[58].

فشخصية (عزيزة الجنرال) سلطوية لها وزن في المدينة مع الكبار كـ(الجنرال) الذي يعمل في الخفاء شخصية جُعلت تعمل في الخفاء دون أن تشارك في الحدث، جاء ذِكرُها على ألسنة شخصيات الرواية، إذن فهي شخصية غائبة حاضرة يُلجَأُ إليها وقت الحاجة لنفوذها غير المحدود ونجد شخصية (عزيزة الجنرال) نسخة مصغرة عنه، تُحبُّ الظهور وتكره معيقيها حتى ولو كانت خاطئة سبَّبت مشاكل كثيرة لـ(فاتح اليحياوي) الذي يمثل الطبقة المثقفة بسبب خرجاته المناهضة لها يقول الراوي مُبرزا موقف (فاتح اليحياوي) = (المثقف) من (عزيزة الجنرال) = (السلطة) "صدح (فاتح

اليحياوي) بالرفض ... سارت الحشود خلفه من شارع لشارع ... وقفوا أمام البلدية عاصفة هوجاء تصرخ بسقوط (مختار الدابة) و(نصير الجان) و(عزيزة الجنرال) ... تدخلت قوات مكافحة الشغب ... فرَّقت المتظاهرين واعتقلت (فاتح اليحياوي)"[59].

هذا الموقف يُنِمُّ عن رفض الطبقة المثقفة للسلطة الفاسدة، بضرورة إحلال العدل والمساواة في الحقوق بين الناس ومحاربة الفساد، ليواجه بعد ذلك الصدَّ والزَّج في السجون مثلما حدث لـ(فاتح اليحياوي) المثقف الواعي الذي اختار في الأخير العزلة والانطواء تعبيرا عن سخطه من هذا الواقع المتردي.

كما نجد شخصية ضابط الشرطة (سعدون) شاب أراد عند اختياره لسلك الأمن أن ينشُر العدل والمساواة مهما كلفه ذلك من جهد ووقت ومضايقات، كرَّس حياته لمحاربة الفساد والظلم، إذن هو يمثل السلطة العادلة، لكن هذه السلطة تُمثل مصدر إزعاج وتهديد بالنسبة لـ(عزيزة الجنرال) التي تُمثل كما قلنا سابقا السلطة القهرية، ليَقع التصادم في الأخير بين السلطتين لتنتصر السلطة القهرية التي تمثلها (عزيزة الجنرال) على السلطة العادلة التي يمثلها الضابط (سعدون) مؤقتا ذلك عندما قام هذا الأخير بربط خيوط الجريمة بدقة ووصوله إلى المجرم الحقيقي (فواز بوطويل) ابن (عزيزة الجنرال)، لتثور ثائرتها وتستنفر جميع القوى التي تعرفها محاولة إخراج ابنها من قفص الاتهام والانتقام من الضابط، يقول الراوي "وفي المساء تغير كل شيء لقد أُطلق سراح (فواز) مُعزَّزا مُكرَّما ووصل الضابط (سعدون) أمر بالانتقال إلى الصحراء بعيدا عن مدينته بمئات الأميال ... وأدرك (سعدون) أن يد (عزيزة) أطول مما توقع وأن القانون فعلا تحت بعض الناس"[60].

لنصل بذلك إلى أن المرسل إليه في هذه الرواية هو المجتمع والسلطة معا.

وسنحاول هنا تلخيص أهم مُحفزات الأنماط التشكيلية في روايتي راس المحنة والرماد الذي غسل الماء في الجدولين الآتيين:

-جدول تحفيز الأنماط التشكيلية في رواية راس المحنة:

المرسل		الفاعل	الموضوع (الرسالة)	المساعد	المضاد	المرسل إليه
مرسل مركزي	مرسل فرعي					
-الراوي	-الربيع -السعيد -علجية -عرجونة -أمحمد أملمد -عكَّة -عزَيِّز -مدير المشفى	-صالح الرصاصة	-رسالة صالح الرصاصة هي التطلع إلى الخروج من الحصار والقهر وإبراز قيم الحق، العدل الحرية.	-الربيع -السعيد -منير -الجازية -ذياب -أُمّا عرجونة	-مدير المشفى -أمحمد أملمد -العجوز عكَّة	-المجتمع -السلطة القهرية

-جدول تحفيز الأنماط التشكيلية في رواية الرماد الذي غسل الماء:

المرسل		الفاعل	الموضوع (الرسالة)	المساعد	المضاد	المرسل إليه
مرسل مركزي	مرسل فرعي					
-الراوي	-كريم -بدرة. -سمير. -العطرة. -كوثر. -الطبيب فيصل. -الضابط سعدون. -فواز. سالم .	-عزيزة الجنرال.	-رسالة عزيزة الجنرال هي حُبُّ التطلع إلى السلطة. -رسالة الشخصيات المُضادة هي محاولة إفشال رسالتها بالثورة ضدها.	-الجنرال. -مختار الدابة. -العطرة المرنيني. -كوثر المرنيني.	-فاتح اليحياوي. -سالم بوطويل. -الضابط سعدون.	-المجتمع -السلطة القهرية

وهكذا نجد أن التحفيز التشكيلي للشخصية قد وضَّح نمط العلاقة التبادلية والتوافقية بين شخصيات الروايتين مع بعضهما البعض وشكَّل نمطا من أنماط التحفيز، إذ أن علاقة كل شخصية بالأخرى سواء منها التبادلية أو التوافقية كانت حافزا من حوافز روايتي راس المحنة والرماد الذي غسل الماء.

الهوامش:

1- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ط2، ص38.

2- المصدر نفسه، ص226.

3- المصدر نفسه، ص255.

4- المصدر نفسه، ص55.

5- المصدر نفسه، ص ص 200 ،201.

6- المصدر نفسه، ص211.

7- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص122.

8- المصدر نفسه، ص130.

9- المصدر نفسه، ص110.

10- عبد الحميد هيمة: علامات في الإبداع الجزائري، ج2، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط2، 2006، ص97.

11- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص23.

12- المصدر نفسه، ص44.

13- المصدر نفسه، ص63.

14- المصدر نفسه، ص50.

15- المصدر نفسه، ص68.

16- المصدر نفسه، ص35.

17- المصدر نفسه، ص93.

18- المصدر نفسه، ص199.

19- المصدر نفسه، ص219.

20- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، مصدر سبق ذكره، ص17.

21- المصدر نفسه، ص175.

22- المصدر نفسه، ص96.

23- المصدر نفسه، ص157.

24- المصدر نفسه، ص100.

25- المصدر نفسه، ص163.

26- المصدر نفسه، ص155.

27- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص29.

28- المصدر نفسه، ص ص 33، 34.

29- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، بن عكنون، الجزائر، ص43.

30- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص27.

31- المصدر نفسه، ص46.

32- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، مصدر سبق ذكره، ص51.

33- المصدر نفسه، ص163.

34- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص54.

35- المصدر نفسه، ص259.

36- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، مصدر سبق ذكره، ص35.

37- المصدر نفسه، ص163.

38- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص23.

39- المصدر نفسه، ص28.

40- المصدر نفسه، ص29.

41- المصدر نفسه، ص226.

42- المصدر نفسه، ص234.

43- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، مصدر سبق ذكره، ص140.

44- المصدر نفسه، ص14.

45- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص52.

46- المصدر نفسه، ص58.

47- المصدر نفسه، ص54.

48- المصدر نفسه، ص91.

49- المصدر نفسه، ص93.

50- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، مصدر سبق ذكره، ص155.

51- المصدر نفسه، ص83.

52- المصدر نفسه، ص93.

53- عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، مصدر سبق ذكره، ص43.

54- المصدر نفسه، ص90.

55- المصدر نفسه، ص93.

56- المصدر نفسه، ص188.

57- صلاح فضل: تحليل شعرية السرد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2002، ص162.

58- عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، مصدر سبق ذكره، ص104.

59- المصدر نفسه، ص93.

60 المصدر نفسه، ص157.

مصادر ومراجع المحاضرة المعتمدة:

1. عز الدين جلاوجي: راس المحنة 1+1=0، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ط2.
2. عز الدين جلاوجي: الرماد الذي غسل الماء، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
3. عبد الحميد هيمة: علامات في الإبداع الجزائري، ج2، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط2، 2006.
4. مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، بن عكنون، الجزائر، (د . ت).
5. صلاح فضل: تحليل شعرية السرد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2002.